الصوفية طليعة الزحف المقدس

للاستاذ طه عبد الباقى سرور

عرف الصوفية عبر التاريخ ، بأنهم احباب الله وانصاره ، قلوبهم ابدا ساجدة تحت عرشه ، وأرواحهم محلقة فى محاريبه • وانفاسهم عطرة بتسبيحه ، واعمالهم مضيئة بذكره •

وجوهر الحياة الصوفية هو الصلة بالله ، صلة لم تعرف لسواهم ، ومحبته حبا لا يطيقه من عداهم ، صلة لو تردد فيها نفس بعيد عن هذه الصلة ، لما اعتبر عندهم من انفاس الحياة ، ومحبة تعتبر الخواطر فى سواه ، ردة عن هداه ورضاه

ومن هذه الصلة ، ومن هذا الحب ، انبثق جهادهم فى سبيل الله ، ونبتت تلك الفدائية الصوفية الرائعة ، الصاعدة الى الله فى جلال ورضا •

قيل لحاتم الاصم الصوفى الذائق ، يوم موقعة الترك ، وهو ينغمس فى صفوف العدو ، حتى تنعقد حول رأسه هالة من بريق السيوف ، ثم يعود ضاحكا • الا تخاف القتال وترهب الموت ، فيهتف حاتم : حبى لله جعلنى أشوق ما أكون الى رضاه ، والى لقاه • يا لهف نفسى على الرضاء واللقاء

اقترن حب الله ، بالجهاد فى سبيله ، فى تاريخ التصوف وتلازما وتعانقا لان هذا ثمرة ذاك ، وبذلك أصبح الصوفية دائما طليعة الجهاد وأصحاب صيحة الفداء ، فى وجه كل طغيان عاصف • أو جبروت قاصف أو الحاد ناسف •

كان الصوفية ابدا ، السور الشامخ السامق ، والسد المنيع الصامد ، فى وجه الزحوف الغربية على الاسلام • وفى وجه التيارات الانحلالية والانهزامية والالحادية التى واثبته طوال تاريخه

لقد حموا الاسلام حربيا ، وحموه فكريا ونفسيا ، وأوجدوا فى الاسلام بجوار البطولات الفدائية ، تلك الاشواق المتقدة الصاعدة دائما الى الله ، والى رسوله ، والى أوليائه

تلك الاشواق الحارة المقدسة التى احتفظت بالايمان حيا مشعا فى قلوب الجماهير ، وفى أحاسيسهم ووجدانهم وعواطفهم .

كان ضرار بن الازور ، وقد تشبعت روحه بالحب الالهى الصوفى يحمل على العدو عارى الصدر . فيقال له : رفقا بنفسك يا ضرار ! فيقول متعجبا : ارفقا بنفسى من الجنة ، ومن الله . ؟

وكان الحباب بن المنذر يحمل على العدو وبيده ثمرات ، فيرمى بهن ويقول : اليس بينى وبين الجنة الا ان اقتل ، يا ويح نفسى على الجنة

وكان عمار بن ياسر ، يقذف بنفسه على السيوف ، هاتفا : اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه

ويهتف عبادة بن الصامت ، فى وجه المقوقس سيد مصر وحاكمها ، بعد أن حدثه عن جيوشه وعدتها : « نحن منكم على احدى الحسنيين أما أن نظفر بكم ، فتكون لنا الدنيا ، أو تظفرون بنا فتكون لنا الجنة ، وهى لعمر الحق أحب الحسنيين الينا »

هذا هو الرعيل الاول من الصوفية ، ثم تمشى الصوفية الاسلامية المجاهدة ، فنرى عقبة بن نافع يمتطى جواده من مدينة الرسول مجاهدا فى سبيل الله ، فلا تصده الا أمواج المحيط عند جبل طارق ، ويدفع بجواده فى ماء المحيط ويقول : « والله لو أعلم أن وراءك أرض تغزى فى سبيل الله ، لغزوتها » وعقبة هو القطب الولى المبارك فى الشمال الافريقى بأسره .

ومع رعيل عقبة ، نرى ابن القاسم ، وابن الصلاح . وعامر الجهنى . يطيرون براية الاسلام فى كل مكان . ويرسمون بسيوفهم خطوط الطول والعرض على وجه الارض

وبجوار أبطال الميادين من الصوفية ، نرى علماء التصوف وأئمته يقومون لله بكلماته وميثاقه ، ويقفون فى وجه الطغيان الداخلى ، والالحاد الفكرى ، وتستجيب لهم الجماهير . لأنهم يملكون دائما كلمات من نور الله وهداه

واليوم تتعرض الامة العربية ، وتتعرض معها الفكرة الاسلامية لاخطر وباء عرفه تاريخ الانسانية .

تتعرض العروبة والاسلام . لخطر أفدح وأعظم من خطر التتار والصليبيين لخطر فكرة خبيثة ، كالشيطان الخبيث نفسه ، فكرة تقعد للناس كل مرصد . وتواثبهم وتخايلهم وتاتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ..

فكرة تقتات بالحقد ، وتشرب البغضاء ، وتحيا بامتصاص الدماء ، وتولول ضاحكة بين الدمار والانقاض . وتجن جنونا . وتفتن فنونا . في السخرية من الجلال الالهى المقدس . ومن كرامة الرسالة ، والمرسلين

فكرة ربها ماركس اليهودى . وأنبياؤها قطاع الطرق ، وكهنتها أصحاب الشذوذ النفسى ، والمرض العقلى .

هذه الفكرة الملحدة الجاحدة الفاسقة ، التى تنادى بأن الشرف والوجدان والضمير والكرامة والذمة ، كلمات خرافية لا مدلول لها . كلمات مخدرة ضالة ابتدعها رجال الدين للتغرير بالناس

هذه الفكرة تغزونا اليوم فى عقر دارنا ، وتحاول أن تجردنا من ديننا وعروبتنا وعزتنا وحريتنا لنركع ونسجد أمام الاله الاحمر

واننى أعلنها مدوية . ان جمال عبد الناصر يضطلع اليوم بدور اسلامى تاريخى لا يعرف له التاريخ مثيلا منذ عهد صلاح الدين . بل لعل دور جمال عبد الناصر أفدح وأخطر من دور صلاح الدين

ان على هذه المعركة التى يقودها جمال عبد الناصر يتوقف مصير الايمان فى الارض .

فانه لأول مرة فى التاريخ يندفع حكام شعب عربى اسلامى الى الشيوعية ولاول مرة فى التاريخ يخرج قوم يزعمون انهم عرب وانهم مسلمون ليسخروا من الله ورسله وكتبه ويتطاولون على قرآنه

اننا الان على اعتاب أقدس جهاد عرفه تاريخ الاسلام وتاريخ الانسانية جهاد يتسامى الى جهاد الرسل . فالخطر الذى يواثبنا اليوم خطر مدمر للانسان وللايمان معا

ان جمال عبد الناصر يصعد اليوم الى دور المنقذ وواجب كل مؤمن ان يصمد تحت لوائه ، انه لواء الايمان ، لواء الحمد ، لواء يحبه الله ورسله . لواء لابد ان ينتصر لانه وعد الله

« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله لقوى عزيز »

طه عبد الباقى سرور